# فلسفة الاعتراف وصراع الحضارات

## -من تأويلية التسامح إلى ظواهرية التفاهم-

## *The philosophy of recognition and the clash of civilizations*
## *-From the interpretation of tolerance to the phenomenology of understanding-*

**بن يمينة كريم محمد[1]***

[1] جامعة سعيدة –د.مولاي الطاهر (الجزائر)، karim.benyamina@univ-saida.dz

تاريخ الاستلام: 2023/07/15 تاريخ القبول: 2024/03./05 تاريخ النشر: 2024/04/04

**ملخص:**

تَقوم "الحضارات" على مؤانسة العمران وتدبير التطور ومثاقفة التنمية وتشجيع المنافسة بدل تأجيج الصراع وتوريث الكراهية وترجيح الصدامية، وهنا تحضر فلسفة "**الاعتراف**" كسبيل للتفكير والفهم والنقد قصد الارتقاء بالتحضر إلى مصاف الإنسية العاقلة والطبيعة الفاهمة.. ويتطلب الأمر لتحقيق قيّم الاحترام وأدبيات التعاون إيجاد معابر للحوار والنقاش والتفاهم والتضايف والتعايش المشترك.. بدل الاكتفاء بتوصيف التسامح والوقوف عند نصيّات التساهل وخطابات الصفح.. نظرًا لما يحمله اللفظ من دلالات القهر والضعف والتنازل والاستسلام.. وتحيل المناولة إلى إشكالية إتيقية مردها: هل يعد الصراع الحضاري حتمية تاريخية ملازمة للجنس البشري أم مغالطة فكروية تستدعي النقد والدحض؟ وكيف يمكن تجاوز الصراعات الحضارات بانتهاج فلسفات الاعتراف وأخلاقيات التعارف؟

كلمات مفتاحية: الاعتراف.، التعارف.، التعايش.، التسامح.، الصراع.

**Abstract:**

"Civilizations" are based on the sociability of urbanization, the management of development, the culture of development, and encouragement of competition instead of fueling conflict, bequeathing hatred, and favoring confrontation. Here, the philosophy of "**recognition**" is brought in as a way of thinking, understanding, and criticism in order to elevate civilization to the ranks of rational humanism and understanding nature.. It requires the achievement of the values of respect and the ethics of cooperation to find Crossings for dialogue, discussion, understanding, solidarity and coexistence. The handling refers to an ethical problem: Is the civilizational conflict a historical inevitability inherent to the human race, or an intellectual fallacy that calls for criticism and refutation? How can civilizational conflicts be overcome by adopting the philosophies of recognition and the ethics of acquaintance?

**Keywords:** Recognition; Acquaintance; Coexistence; Tolerance; Conflict.

*المؤلف المرسل

**1. مقدمة:**

تُشكل "**فلسفة الاعتراف**" **Philosophie de reconnaissance** سؤالاً فلسفيًا مميزًا، وانشغالاً معرفيًا واعدًا، ونداءً إنسانيًا مشروعًا ضمن ثقافة "**العيش المشترك**" وفقه "**التعايش الثقافي**" قصد استشراف المستقبل الآمن وإمكان تحقيق التعايش السلمي المنشود، وذلك من خلال تشجيع إتيقا الحوارية [المناقشة] وأخلاقيات الرحابة [الضيافة]، وفق مبادئ الاحترام ومنطلقات التفاهم ومنعطفات التعاون والتضامن والشعور بالآخر [الغيرية]، وقبول الاختلاف والتنوع، لتجاوز عقم التاريخانية الموروثة، والحد من خطابات الكراهية، وفض سياقات الهيمنة، ودحض أدبيات الإقصاء.

ويَتطلب المسعى "**نحو تداولية الاعتراف**" اقتراح المخرجات المناسبة القائمة على الوعي بأفهومات "**التعارف**" أولاً، ثم الانفتاح على الطبيعة البشرية [العيش الذاتي] والمجتمعات السائلة [المعيش اليومي] والتواصلية الافتراضية [التعايش الرقمي]، باعتبار أنّ الإنسانية المتناغمة لم تعد تكترث بالاستهلاك الآني والتدافع اللحظي بل تنشد العقلانية المستدامة وتستقطب الجمالية المستنيرة.. وضمن هذا التصور العام للموضوع محل النقاش والاثراء نقترح الإشكاليات الآتية: **هل يمكن اعتبار "الاعتراف" آلية فكرية ونزوعًا نفسانيًا وسلوكًا اجتماعيًا لضمان العيش المشترك في ظل خطابات الرفض والتدليس والتهكم والتهافت والتفاوت؟ وهل في مقدور التأسيس الدياليكتيكي للتعارف أن يثمر فلسفةً تنويرية راقية وفعلاً حداثيًا يليق بتداولية التعايش السلمي؟**

## 2. فلسفة القبول المشترك [من التعارف إلى الاعتراف]:

تُعد فلسفة "**قبول الآخر**" **l'acceptation de l'autre** أهم ركيزة لتحقيق فلسفة "**التوافق**" **Compatibilité**، على أن يكون القبول وفق مشروع إنساني شامل وعالمي عميق يبدأ من "**التقبل**" بمعنى الرضا والوضوح [≠الرضوخ] في العلاقات والتعاملات، ليشمل أيضا "**الاتفاق**" و"**الاقرار**".. ويتجسد هذا المشروع التشاركي من خلال القيم الآتية:

**2. 1 التعارف [Connaissance]**: يُفيد "**التعارف**" **Acquaintance** حسنَ الاطلاع وتوظيف المعارف لتحقيق التواصل.. ويتضح ذلك من خلال النص القرآني: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ **لِتَعَارَفُوا**ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] سورة الحجرات، الآية:13، ومراد الآية ألا يكون التعارف بالتفاخر بالنسب إنما بالتقوى، كما يدعو إلى تجنيب الفردانية والعزلة، وتحبيب التعايش مع الغير والتعاون والتضامن، كما يعين "**التعارف**" في القضاء على التفاضل بين الأجناس ونبذ العنصرية والتميز والاستعباد، فالصراعات بين البشر إنّما «نشأت عن القول بتفاضل

الأجناس واختصاص بعضها دون بعض بالذكاء والكفاءة والقدرة على بناء الحضارات مشاكل ومآس طويلة أغرقت البشرية في تصرفات حمقاء غير معقولة وحروب طويلة»[1]، فالحضارة ليست حكرا على جنس دون آخر، بل هي فكرة تشمل الجميع، لمن كان قلبه عامرا بالإيمان وصدقه العمل وأحرزه الزمن.

**2. 2 الاعتراف [Reconnaissance]**: يُبنى "**الاعتراف**" على التسليم، والإقرار، والإدراك، والاستطلاع بتبادل الملفوظات المدرِكة من الذات والمنطوقات المدرَكة نحو الغير [المعرفة، العرفان]، كما تقوم "**ثقافة الاعتراف**" على "الاعتراف بالجميل"، و"الإقرار بالفضل"، و"العرفان بالسبق"، والاعتراف مع النفس [النقد الذاتي]، والاعتراف بالذنب [الخلاص]، وتؤدي هذه البناءات المفاهيمية إلى إقرار أشكال من التواصلية الأخلاقية تكسب "**العيش المشترك**" مزيدًا من التلاحم والتضافر، ف «الاعتراف تؤسسه الإرادة الحرة في أن تكون معترفا بها ككينونة مغايرة، وليست متماثلة مع ما يقابلها من ذوات أخرى، إنها تنشد الحق في أن تكون وفق نمطيتها الخاصة في الحياة»[2]، غير أنّ الاعتراف بالذنوب لا يكفي إذا لم يلحقه العمل الصالح والتواصل الكريم، والسعي الجاد لاستعادة الاعتبار، ورفع المظالم ودرء الفساد، والاعتراف ليس إعلانًا [تشهيرًا] ولا فضحا بل خطابًا إنسانيًا في فائدة من يهمه الأمر، أي تثمين الأعمال وتشجيع المبادرات ودفع الأخطاء بالإحسان والتحسين وحسن الختام، فطبيعة الإنسان تقتضي الاعتراف بالاختلاف والإقرار بالتفاوت، حتى وإن كان التعارف هو سبيل أولي وضروري لاستحقاق الاعتراف، فمن غير المعقول أن نؤسس لإتيقا الاعتراف بمعزل عن نظريات المعرفة وأدبيات التعارف.

ويمكن التفريق بين **التعارف** و**الاعتراف** من خلال النقاط الآتية:

| التعارف [Connaissance] | الاعتراف [Reconnaissance] |
|---|---|
| معرفة الآخر عن طريق تبادل المعلومات وفعل التحاور، سواء أتعلق الأمر بممارسة الاتصال أو الكشف والتحليل النفسي وصولاً إلى الشعور به والإحساس بكل ما يصدر منه، أو حتى الدخول معه في علاقات عميقة، تزول معها السرية وتنتفي بها الخصوصية، وقد تصل إلى التماهي والتسامي. | يرتبط بمسائل الحقيقة والحق والواجب، بالانتقال من فعل التعرف [التذكر النفساني] إلى التسري [التصديق القضائي] Récognition، لكن ما نحتاجه فلسفيا هو فعل الشهادة أو الإدلاء [الإخبار] بما نملكه من حقيقة عن الآخرين ولهم، كالاعتراف بالتقصير، أو الاعتراف بالجميل، أو الاعتراف بالعجز [التواضع]. |
| [**يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ**] يونس، الآية: 45 | [**اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ**] التوبة، الآية: 102 |

ويستدعي السعي التشاركي للتحرك من الثورات [الانتصارات الواهمة] إلى التطورات [التحقيقات الحقة] من خلال تحويل "**العيش**" إلى تقنية واستراتيجية تقدم بدائل راقية وإمكانات واعدة، وحياة آمنة وصحيحة وسليمة بدل الخوض في الصراعات [الحروب الواهية] وإراقة الدماء ومعاداة الخصوم، إذ «يكفيني الأمل في أنني قد أصادف قيمًا تاريخية أخرى، لا ثورات عنيفة، وأدرّب مخيلتي على تلك القيم بأفضل ما أستطيع»[3]، فحين يصبح الهدف في الحياة هو الدفاع عن الأشياء دون الوقوف [التوقف] أمامها لمراجعة الأوضاع وإعادة الحسابات مما يشكل قلقًا بائسًا.. ويحذو نحو ثورة بليدة يائسة ضد ثورة تؤمن بالحياة.. فالأمر يدعو إلى التدبر والتريث، فالكثير من الصراعات والخلافات إنّما هي وليدة اضطرابات نفسية وأحوال ماهوية، لا علاقة لها بالواقع المعيش، ولا بتحسين الوضع.. إنها محاولات لفرض الذات وإقصاء الآخر، عوض أن تكون محاورات لاستعادة التوازن النفسي والانبعاث الروحي.

## 3. صراع الحضارات وثقافة العيش المشترك:

يَقوم "**الصراع**" [الصدام] بين الحضارات على جملة من المشكلات والتصدعات، منها:

**3. 1 التطرف [الدوغمائية المفرطة]**: يَتحول الحماس [الإنتماء] إلى اعتناق للفكرة، والشك في كل تفكير مغاير، وبالتالي قيام الحرب بلا داع، قبل أن يكون صراعًا بين الدول، وسبيلا إلى التهديد، فهو في الأصل خلاف بين الأفراد أنفسهم بسبب الأفكار المغلقة التي تملأ كل واحد منهم، يتساءل **نجيب محفوظ** «فهل تقابل العناد بالتطرف، والكبرياء بالعداوة السافرة، يجوز ذلك، بل يجب في الظروف العادية، أما اليوم فإن الموقف أكبر من ذلك وأشد، إنه موقف الحكمة والتضحية، ولن يفوز فيه من ينكل بالخصم أو يوقعه في عواقب سوآته، ولن يظفر بالبطولة ذكيٌّ أو مناورٌ أو داهية»[4]، فالمطالبة بعودة الحكمة يقضي على التسرع نحو الحرب والمقاطعة والرفض بدل مناقشة القضايا، فبعد الوقت الذي خصص لبناء المجتمعات عن طريق المفاوضات والسياسيات والتنازلات، يتم قطع كل شيء بجرة قلم أو تحت تأثير العاطفة، إنه **التطرف** الدفين الذي يحمله كل طرف، والقلق الفظيع الذي يبحث عن نار توقظه أو إشاعة تحركه، فيستيقظ الغضب والخوف والغيرة لتأسيس مفارقة تقوم على الإشاعة والتشويه .. إنّ إخماد الفتنة أصعب وأرهق [مكلف] من مجرد المحافظة على الأمن بين أعضاء المجتمع الواحد، إنه الخوف من ضياع قيمة أو الغضب من نجاح فكرة معادية، لذا تجتذب فكرة "**الوسطية**" -بعيدا عن التبعية المتعبة والمهيمنة- طبقات المجتمع نحو قيمات مشتركة، نحو مساحات من الممكن والإنصاف، نحو المركز المشترك، نحو الاعتدال، نحو التوازن، نحو التداول بعقلانية، والبراغماتية العاقلة، فأمثولة سلامة الوطن تتطلب تأصيل الحكمة وتأسيس الوعي، فغاية الانتصار التضحية بعقل لا بخوف وقلق.

**3. 2 الصدامية [الصراع المستمر]**: تَتطور **الكراهية** إلى صراع حاد، وأفعال من التصادم والعصيان، فيؤوب الوضع إلى الفناء، وقد يكون «ذلك صراعًا تصاعديًا- وهو بالتأكيد مهمة مرهقة ولا نهاية لها- وبحاجة دائمة للمتابعة. يظل النصر النهائي في الصراع وراء الأفق متأبيًا على التحقق. ومما يزيد الأمر إزعاجا أن الأمل بالوصول إلى شيء من فهم العالم يبدو أبعد منالاً مما كان عليه في الماضي غير البعيد»[5]، فالصراع وليد تنافر بين الناس بمعزل عن الأخلاق والأفكار، وقد يصعب إيقاف الخصام إذا لم تحجب الكراهية ويعزل الصدام، ويشير **هابرماس** إلى "**أخلاقيات الصراع**" التي ترتبط بالواقع المعيش قائلاً: «أسمّي أخلاقًا [بالجمع] المسائل التي تعنى بواقعة العيش معًا مع ملاحظة معايير قويمة، بالنسبة إلى الأشخاص الفاعلين، الذين قد يدخلون في صراع الواحد منهم ضدّ الآخر، تطرح الأسئلة من هذه الطبيعة باعتبار الحاجة المعياريّة إلى تنظيم التفاعلات الاجتماعية. والعقل يقول إن مثل هذه الصراعات يمكن أن تحسم مبدئيًّا بطريقة عقلية وفي مصلحة كل منهم»[6]، وإذا كان مبدأ "**صراع الحضارات**" يحتاج إلى إعادة النظر في طبيعة "**الأخلاقيات**" وكذا مصدرها، وأصولها، وكذا مدى صلاحيتها بين الناس، تبقى أطروحة "**العيش المشترك**" في خطر ما لم نشترك جميعا في وضع هذه التصورات واقتراح مشاريع للسلام والتفاهم بوعي والتسامح بأخلاق.

**3. 3 الطائفية [الآخرون خطر]**: يؤدي التحريض على الإقصاء إلى تقليل فرص "**الاشتراك**"، فإننا «في الواقع نتأثر إلى درجة مدهشة بالناس الذين نرى أننا نشترك معهم في هوية واحدة، إن الأحقاد الطائفية يمكن أن تنتشر كالنار في الهشيم ... ومع التحريض المناسب، يمكن أن يتحول وعي متعمق منذ النشأة بهوية مشتركة مع جماعة من الناس إلى سلاح قوي يوجه بوحشية ضد جماعة أخرى»[7]، فيتحول "**العيش معًا**" إلى مناسبات من الحسد والرفض والمتابعة [المراقبة]، فحين يلمح شخص غيره الذي يختلف عنه في اللغة والدين والهوية وقد حقق نجاحًا ما، فإنه ينظر إليه بعنصرية حاقدة، وليس عجيبا أن يعتقد الشخص الواحد أنه صاحب الحق في المواطنة، وأن البقية يشكلون الأقليات الهجينة والدخيلة التي يجب استئصالها، هذا الوهم الذي يرافق الجماعات داخل المجتمع الواحد.

**3. 4 الأدلجة [قهر الاختلاف]**: تحجب "**الأيديولوجية**" كل تنوير حر، وتقف أمام أطروحة "**العيش المشترك**" بآلية "**نظرية المصالح**" لتحقيق مصالح شريحة معينة على حساب بقية الفئات الأخرى، ولا تقتصر الأيديولوجيا على نبذ الآخر فقط، بل تتسبب في ضياع الوحدة واستحالة العيش في ظل هذه العصبية الفكرية، و«على هذا النحو فالآلية الإيديولوجية آلية فعّالة، إنها ليست مرآة عاكسة منفعلة، تعكس الواقع الاجتماعي وما يتفاعل فيه، وإنما هي عامل محدّد، وفعالية نشطة، ومقاومة مستميتة.

الإيديولوجية قدرة جبّارة على التلوّن والتقنع، وقدرة خارقة على التلوين والتقنيع وخلق الأوهام، وهي لا تكتفي بتشويه الأفكار وقلب الحقائق»[8]، فالأديولوجية لا تموت بمجرد تطور الأفكار أو انتصار التقنية، فهي أشبه بالبكتيريا النائمة التي تعود إلى النشاط عند توافر البيئة المناسبة، وهي أقرب إلى الفيروسات المتنقلة إذا لم يتم استئصالها من العمق والأصل والجذور، كما أن وفرة الإيديولوجيات قد تزيد من حدة الصراع إذا لم ينظر إليها أنها مجرد قناعات خاصة، وأن التجاوز بالتفكر أولى وأسلم من القهر بالإقصاء.

**3. 5 التعصب [جذل السلبية]:** تَشتد غطرسة المتعصب كلما تمكن من إفساد بقية الأفراد الذين يتواجدون خارج معتقده ومذهبه، لتؤوب الحياة نحو مزيد من الخراب والصراع والضياع، «ويصبح ما يعدّه الإنسان أساسيًا وحيويًا كاذبًا، عليه ركله بقديمه، ويصبح للسلبية عنده معنى، إن لم تكن غاية، فهي وسيلة على الأقل»[9]، فالتدبير السليم والصحيح يقضي على التدمير المتهور والمتهاون، ويأتي ذلك من خلال تشجيع ثقافة الصحوة والتنمية والتعاون والفعل الإيجابي، والقضاء على العنف اللفظي والسلبية المفرطة، كما أن التعصب هو ازدراء للغير من خلال رفض الآخر، ولا يمكن فهم طبيعة النصوص وتحليلها ونقدها تحت قهر التعصب والدوغمائية والتشدد والظلامية والجهل المقنع، ما لم نقيد التبصر بالتنوير والانفتاح.

يَتطلب الخوض فيلولوجيا **Philology** في ملفوظة "**العيش**" التفريق بين مستويات متباينة من دلالات التعايش والمعيش في علاقة الواقع بالفردية والغيرية.. كما هو موضح في الجدول الآتي:

| العيش [Subsistance] | التعايش [Coexistence] | المعيش [Vivre] |
|---|---|---|
| مستوى العيش، أسباب العيش، العيش الرغيد، لقمة العيش، العيش بين الناس... | التعايش السلمي، التعايش الروحي، التعايش المذهبي، التعايش الديني ... | الحالة المعيشية، غلاء المعيشة، بؤس المعيشة ... |
| الإعاشة، البقاء، القوام، الذخائر، المؤن، القوت، الرزق، الخبز، الحياة، المتعة، المطعم والمشرب والدخل، السعة، النفع... | التواجد، التصاحب، التعاون، التفاهم، التضامن، الألفة، المودة، الوئام، التوافق، التساكن، الاحترام، التضايف، التعارف، التصالح، التسامح، التبادل ... | الغذاء، العمل، الكسب، المال، الحاجات، المصلحة، المنفعة، الذاتية ... |
| **العيش ⇔القوام [الذاتية]** | **التعايش ⇔الاختلاف [الغيرية]** | **المعيش ⇔الو اقع [الشيئية]** |

يَعتمد "**العيش المشترك**" على الانتقال الصريح والواضح بالنقد من مشروع "**الصدام بين الهويات الثقافية**" [**صامويل هنتغتون**] (1927-2008) إلى التفكير في "**تعايش الثقافات**" [**هارالد موللر**] (1949- )، فالتنوع في مصادر التفكير، والتعدد في الهويات يشجعان على تنمية واستدامة العلاقات بين الناس، ويسعيان إلى ترشيدها وتعزيزها وتقويتها لفائدة مشاريع السلام بين الأفراد والجماعات، فعادة ما

يتولد "**صراع الثقافات**" من الخوف من ضياع الهويات [الحدود]: فـ«البشر خائفون؛ فالحياة بضاعة هشة عرضة للعطب ومحفوفة بالمخاطر، وهذا ينطبق بشكل أكبر على الرفاه، والأمان الاجتماعي، والاستقرار الثقافي والهوية، إن الناس في حاجة إلى هوية، فهم يريدون أن يعرفوا من هم ولأية جهة ينتمون. والهوية تعني رسم الحدود: شخص ما موجود وشخص ما آخر لا وجود له. وفي أزمان الانطلاق والأزمات والشدة يلتقي هذان الإحساسان الرئيسان معًا: يتنامى الخوف وتغدو الحدود أكثر أهمية، ويصبح البحث عن عدو أو كبش فداء حاجة أساسية»[10]، فـ"**الآخر**" لا يعد تهديدا أنطولوجيا إلا إذا نشأ "**الأنا**" مشحونا بالعدائية أو أنه تخفى وراء نزعات السلبية [الخوف] والتعصبية [الجهل]، كما يشكل سؤال "**من نحن؟**" عائقًا أمام كل نقلة نوعية، وقطيعة مع كل تحرر أو تنوير، ونقطة تستدعي المراجعة والمعاودة، فالتقوقع داخل الدوغمائيات، والتموقع في الأيديولوجيات يؤدي حتما إلى التنافر والتناحر، ويكفي أن نحاول معرفة الآخر وفهمه وتقبل وجهة نظره ورأيه والحرص على حريته، ليصبح العيش متاحا والتعاون ممكنا، وفق الأطروحات الآتية:

**أولا: العيش من أجل الآخرين [التفاني]: Vivre Pour les autres** ، يؤسس **كونت** (1798-1857) مقولته هذه على مبدأ مغاير في الأخلاق فاعتبرها عبادة جديدة، وديانة إنسانية تستحق الإتباع[11]، ودعا إلى تجريد الشخص من فردانيته في سبيل العيش للآخرين فقط، دون مراعاة لفطرته وطبيعته، كما أن "**العيش المشترك**" لا يقوم على محو إرادة الإنسان وطمس حقه في الحياة بقدر ما يدعو إلى احترام حريات الآخرين.

**ثانيا: العيش مع الآخرين [التماهي]:Vivre Avec les autres**، تتخذ الفلسفة من التواصل سبيلاً للعبور من الذاتية إلى الغيرية، إذ «تقتضي الفلسفة أن يسعى المرء بصورة ثابتة إلى التواصل وأن يخاطر فيه دون تحفظ، وأن ينبذ هذا التأكيد للذات الذي ليس إلا تبجحًا والذي لا يكفّ عن فرض نفسه متنكرًا في صور متنوعة»[12]، فالعيش بالرجاء والأمل والتعقل يضفي إلى الحياة فرصا أكيدة لترويض الذات وتربيتها على السلوكيات السليمة، حتى وإن اختلف الذهنيات وتباينت المرجعيات، ويؤكد **هابرماس** في حواراته أنه: «لا ينبغي أن يغيب عن ناظرنا بأن المواطنين هم أيضا أشخاص لهم هويات فردية نمت وترعرعت وسط تقاليد معيّنة، وفي أوساط ثقافية نوعية، لذا فإنه يتوجب أن نضع في اعتبارنا بأن هؤلاء الأشخاص هم في حاجة لهذه التقاليد حتى يتمكنوا من الحفاظ على هوياتهم»[13]، فجدل المدني [الحريات] والثقافي [التقاليد] يحيل إلى أخلاقيات المواطنة التي تحفظ الحقوق وتساير الواجبات، ومثلما تسهم **الثقافة** في تنمية

النقاشات وأخلقتها في ظل الحجاجية، والتوافقية، والاعترافية، فهي تساعد على الارتقاء بالحوارية إلى مستويات من الإقناعية والرضا والتماس الأعذار وقبول الحق بين أطراف المناقشة.

**ثالثا: العيش منفردا [التنافي]: Vivre Seul**، تلخص فكرة "**الاعتزال**" سعي الفرد إلى تحقيق وجوده على حساب نظرية "**العيش معا**"، أو قد يحيا منفردا دون تواصل مع الغير، وقد يشكل هذا النفور هاجسًا اجتماعيًا سلبيًا يؤدي إلى نشوء التوحش وظهور ثقافة الغاب.. وتحول العزل إلى إبادة، والعيش في عالم أحادي إلى طمس لكل "هوية وانتماء"، وحين نتذكر بأنّ التفلسف يتحقق بسبيلين متمايزين: «سبيل **التأمل المنعزل**، بالخلوة بكل أشكالها، وسبيل **التواصل** مع البشر، بالتفاهم المتبادل، في العمل التعاوني، وتبادل الكلام، والصمت المشترك»[14]، دون أن يشكل خطرًا أو حالةً خاصة قد ترهق الآخر بالمراقبة والظن والشك، والإحساس باللاأمن، بل تكون عزلته "قابلة للهضم" **peut être digérer** [يمكن أن تُفهم]، والأحسن أن يكون خاضعًا للتحكم و"قابلا للقيادة" **peut être diriger** [يمكن أن يُوجه]، أما إذا كانت العزلة تشكل استنفارًا اجتماعيًا أو قلقًا نفسيًا، أو تفسد الجوار، فالأولى أن يعتزل بعيدًا عن الناس، وأن يظهر عاديًا أمام الآخر [كظاهرة وليس كمظهر].

تُحيلنا مقولة **فولتير** (1694-1778) رغم اختلاف الترجمات بين: «أنا لا أوافقك الرأي لكنني أدافع حتى آخر رمق عن حقك في قول رأيك»، و«قد اختلف معك في الرأي ولكني مستعد أن أدفع حياتي ثمنا لحقك في التعبير عن رأيك»، و«قد اختلف معك في الرأي ولكنني على استعداد أن أموت دفاعًا عن رأيك» إلى أن العيش المشترك يتطلب الدفاع عن حرية الرأي إلى حد الموت، فحين نسمح للآخر بأن يحصل على حقه في الكلام، فإننا نعطي القيمة لأنفسنا كي نعبر بحرية أيضا، وتشبه مقولة **فولتير** إلى حد كبير مقولات **الشافعي**: «قولي صحيح يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب»، و«كلامي صواب يحتمل الخطأ وكلام غيري خطأ يحتمل الصواب»، وهناك من يشكك في نسبة هذه المقولة إلى الشافعي ولا يسعنا المقال لمناقشة ذلك.. غير أن "**العيش المشترك**" يستدعي التخلص من اعتباطية "**الأنا**" التي تدعو إلى اعتبار: "**كلامي صواب لا يحتمل الخطأ، وأن كلام غيري خطأ لا يحتمل الصواب**"، وينطلق "**الباحث الأخلاقي**" «من موقف حيث يكون ثنائي الخير والشر قد تكوَّن، حيث أن الإنسان قد اختار جانب الشر. فانطلاقًا من هذا الوضع للحرب بين الإنسان والإنسان، بين الإنسان ونفسه، تبرز كل المسائل الأخلاقية للمصالحة، للسلام، وللوحدة»[15]، فقبل أن يكون العيش اشتراكًا بين الناس، لابد أن يبدأ العيش مصالحةً مع النفس، وسلامًا مع التفكير، واتحادًا مع رغبات النفس وحاجاتها وطبعها وميزاجها.

دَأبت بعض المجتمعات على تربية المواطنين وفق معايير "**الفردانية**" ضد مشاريع "**المشاركة**"، محاولة منها للإبقاء على العلاقات المجتمعية في حدود المسموح به قانونيًا وإجرائيًا، وما تتيحه أخلاقيات المهن [الديونطولوجيا] من قواعد وآليات تفاديا لحصول بعض أشكال الاعتزال التي تتنافى مع سياسات المواطنة الجديدة، وتشجيعًا على أنواع محددة من الاختلاط الاجتماعي القائم على مراعاة الخصوصيات، على أن تكون المشاركة معلنة ومحددة ومضبوطة، لذا يصرح **جون ديوي**: «فنحن مثلاً لن نكره الوحدة، إذا توفرت لدينا، عندما نكون على انفراد، رفقة المشاركة الفكرية الودود التي تكونت في عاداتنا العقلية، أما في حالة غياب مثل هذه المشاركة، فإن الحاجة تشتد إلى إمداد وتعزيز الاتصالات الخارجية»[16]، فطبيعة الاختلاط تفيد في إيجاد المعابر [التواصل] والمسارات [الاتصال] بين الناس، لأن أصل الاجتماع إنما هو تقريب نظرية "**الاتحاد**" إلى أذهان الناس، وبين "**الوحدة**" و"**الاتحاد**" تغدو "**الفردية**" سلوكًا انفراديًا مسؤولاً يلزم كل شخص لوحده، لكن يبقى "**العيش المشترك**" أنسب ثقافة لتحقيق السلم وضمان الحياة المحترمة والكريمة .. ولا يتطلب ذلك إلا تطبيقات أخلاقية على مستوى الخطابات اليومية في تداول معقول وتعاون ممكن بين الجميع.

## 4. قيم المعرفة ومشروع المجتمعات المتعاونة [من التسامح إلى التفاهم]:

تُسهم القوانين الدولية والمبادئ العامة والأعراف المجتمعية الناتجة عن فعل التحضر وقول السلم وكذا احترام التراث الأصيل وتقدير المعاصرة الحكيمة في تسهيل عمليات الانتقال من عاطفية "**التسامح**" إلى عقلانية "**التفاهم**" بغية ترشيد الوعي بأهمية القيم المعرفية في تفعيل العلاقات بين الناس [الشعوب] وبين المجتمعات [المنظومات]، وكذا بين المؤسسات [المنظمات]، وبالتالي الانتباه بحذر إلى طبيعة هذه الفروقات:

**4. 1 التسامح** [***Tolérance***]: يُشير "**التسامح**" إلى التساهل في الفعل والرفق في المعاملة والتمهل في الحكم، كما يصطلح "**التسامح**" على حضور المعاني الآتية[17]:

| القبول | حرية التعبير | الاحترام |
|---|---|---|
| الاحتمال بلا اعتراض وقبول الاعتداء على الحقوق.. رغم توافر القدرة على الرد، وفي المقابل تغاضي السلطة وتساهلها في مخالفة القوانين. | التعبير عن الآراء بكل حرية دون التخلي عن المعتقدات، وأن يدافع عنها بلا حرج ولا خوف وبكل الطرق والإمكانات، وترك الآخر يعبر دون قيد أو رفض أو قمع. | الاعتراف بحقوق الناس واحترام اعتقاداتهم وآرائهم وشخصياتهم وقبول التنوع والاختلاف والإصغاء إلى تعبيراتهم وأفكارهم. |

ويرتبط مدلول "**التسامح**" بالاحتمال في إدراك القصدية، والتحايل في استغلال رحابة الصدر التي تنجر عن تطبيق هذه الطبيعة الطيبة.. وليست كل الموضوعات قابلة للتسامح والتنازل.. بل وليس ضرورة تحقيق هذه الخصوصية والخاصية إلا إذا تعلق الأمر بمبدأ الاحترام وتقبل الآخر والتعبير بما يليق.

4. 2 **التفاهم** [***Entente***]: يَحضر **التفاهم** بغية إيجاد مساحات من التوافق في تحقيق مستويات الاتفاق [***Accord***] عن طريق التفاوض [***Négociation***]، والتَّفهم [***Compréhension***]، والفَهم [***Comprendre***]، والانسجام [***l'Harmonie***]، والائتلاف [***Coalition***]، والمطابقة [***Correspondant***]، كما يستلزم التفاهم توافر مجموعة من التدابير ***Les Mesures*** بين الأشخاص لترتيب ***Arrangement*** التعايش، و"**التفاهم**" أعمق من "**التسامح**" ***Tolérance***، فعندما نقصد التفاهم فإننا بذلك نبتغي الخوض في الأسباب المؤدية إلى الصراع، والعلل الموصلة إلى الفتن، فنضبط المفاهيم ونحدد الأفهومات، فيزداد الوعي بالوضع، ولا نقف عند حد الفعل، ويقترح **حسن حنفي** في مقاله "**من التسامح إلى التفاهم - تحليل فينومينولوجي-**" مجموعة من الفروقات [الاختلافات] بين مدلولات التفاهم والتسامح نوجزه فيما يأتي[18]:

| التفاهم | التسامح |
|---|---|
| - أكثر عمقًا من التسامح. | - نداء القلب والعاطفة. |
| - أكثر وعيا نظريا من التسامح. | - دعوة إلى قبول الآخر اجتماعيا وإن كان نفسيًا وعقليًا ما |
| - يتوجه نحو الظروف الاجتماعية. | زال موضوع نفي ورفض. |
| - يقوم على الفهم المشترك. | - يقوم على الازدواجية بين الظاهر والباطن. |
| - مدخل معرفي لفهم أسباب العنف. | - لا ينطلق من الاتفاق بل من التنازل. |
| - يقوم على التحليل الموضوعي. | - خطاب مناورة وإرضاء الأطراف. |
| - نداء العقل والمعرفة. | - موعد مع الضعف والانهزامية. |
| - اعتراف وجودي بالآخر. | - لا يقوم على معرفة أو تعارف. |
| - تسليم بالاختلاف قبل التبشير بالوحدة. | - لا يراعي الظروف والأسباب. |
| - يقوم على الاعتراف بالخصوصيات. | - نظرة ذاتية لا تحمل الاتزان. |
| - لا ينفي الآخر بل يثبته. | - يؤدي إلى ضياع الكرامة ويجلب الوهن. |
| **التفاهم يسبق التسامح مع الآخرين، والعقل يسبق الفعل، والنظر مقدم على العمل** | |

فالأصل أن "**التسامح**" لا يقوم إلا بعد تفاهم واتفاق، وكل تسامح سابق [دون فهم] يؤدي إلى عودة الصراع وزيادة الشحناء، لذا يتطلب "**العيش المشترك**" إيجاد معابر للتفاهم قصد توطيد العلاقات

وإزالة الخلافات «والتفاهم ليس نهاية المطاف؛ بل هو وسيلة للعيش المشترك والتعاون على تحقيق ما تحتاجه الشعوب وتتطلع إليه من حرية وعدالة لدينا ومن قيم جديدة في الغرب، وهو وسيلة إلى الوصول إلى كلمة سواء بين طرفين ومقياس الحقائق بمعيار واحد بدلاً عن ازدواجية المعايير والمساواة بين الناس»[19]، كما أن التسامح لا يشجع على التعاون بل يقوم على التبعية والاستغلال والاضطهاد والرضوخ للقوي والمتسلط، وقد يحقق الأمن مؤقتا لكنه لا يضمن استمراره، فحين نعجز عن "**الفهم**" ونتيه عن "**القصدية**"، فإننا ننتقل من "**سوء الفهم**" إلى "**سوء التفاهم**" بسبب شدة الخلاف وعظمة النرجسية، وبالتالي إلى فساد العيش وضياع الاشتراك، وقد تشكل اللغة عائقًا يقود دون تحقيق مقاصد وآليات التداول بسبب صرامة قوانين اللسان، وكذا المرجعيات الفكرية والأصول الاعتقادية للكلام.

3. 4 **التضايف** [***Hospitalité***]: يَتخذ "**التضايف**" مدلولاً لغويًا وفلسفيًا قبل أن يشكل مفهومًا أخلاقيًا وممارسةً إجتماعيةً بين الناس، فهو لقاء بين الشيئين حيث «يكون تعلق كل واحد منهما سببًا لتعلق الآخر به كالأبوة والبنوة، والتضايف كون تصور كل واحد من الأمرين موقوفًا على تصور الآخر»[20]، وفي العلوم الاجتماعية فإن التضايف يعني «الصلة بين ظاهرتين تتغيران معًا وبنسب محددة، كالصلة بين تقسيم العمل وكثافة السكان»[21]، وتحمل لفظة "**التضايف**" أو "**الضيافة**" دلالة الارتباط ***Corrélation***، والاستضافة ***Hébergé***، بترك "**المضايقة**" ***Harcèlement*** واعتماد "**المضايفة**" ***Hébergement*** والتي تفيد: «عادة تتمثل في إيواء الغرباء وإطعام من هم في حاجة إلى الطعام والمأوى»[22]، ويقترب معنى الضيافة من دلالة كلمة "**المستشفى**" (***Hôpital***) وهي «المؤسسة المعدة لعلاج الأمراض، حيث تتوفر بها كافة وسائل العلاج وهي متخصصة لعلاج أنواع معينة من الأمراض»[23]، إذ تتولى هذه المؤسسة استضافة المريض لعلاجه، وبالتالي تصبح الاستضافة ممارسة بيوإيتيقية معلنة، وتعايشًا سلميًا مضمرًا، وتفهمًا إنسانيًا يستحق العناية والرعاية.

اتخذ **زيغمونت باومان** في كتابه "**الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**" من الضيافة مؤشرًا ابستيميًا لتوضيح ضرورة الشعور بالتعايش في كل مكان وزمان، فعنون مبحثه بـ "**جعل الكوكب مضيافًا لأوروبا**"، وأشار في فقراته ضمنيا إلى «أن كوكب الأرض ليس في هذه اللحظة مضيافًا لأوروبا، كما يوحي، بشكل غامض، أننا، نحن الأوربيين، نعيش غيابًا للضيافة بوصفها مشكلة -أي بوصفها خروجًا عما يمكن توقعه على نحو مشروع، أي خروجًا عن المألوف يحتاج إلى تصحيح مرة أخرى- ... هذه "**الضيافة**" جاءتنا بشكل طبيعي إلى الحد الذي لم يطرأ على بالنا معه أن ننظر إليها على أنها "مشكلة" تحتاج إلى اهتمام خاص»[24]، فالضيافة تزيد من إمكان التعارف والتعاون واستمرار العيش معا، فالإنسان مخلوق تعارفي [**وَجَعَلْنَاكُمْ**

**شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا]** سورة الحجرات، الآية: 13، وباعتبار أن التعارف وليد الاستخلاف **[إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً]** سورة البقرة، الآية:30، فيكتسب الإضافة في العلاقات من خلال أخلقة الضيافة.

4. 4 **التعاون** [***Coopération***]: يَقترن "**التعاون**" بالتعاضد والترافد، وهو في المواضعة الاصطلاحية يشير إلى «مذهب اقتصادي شعاره الفرد للجماعة، والجماعة للفرد»[25]، وتُشكل "**التعاونيات**" اشتراكًا بين الأعضاء لتحقيق مصالح اجتماعية معينة، ومثلما يظهر "**التعاون**" في الاقتصاد فإنه يتضح في مجالات الثقافة والسياسة والمعرفة، وسواء أتعلق الأمر بين الأفراد أو الدول، قصد تحقيق التنمية وتبادل المنافع والتقنيات والخبرات والإعانات بعيدًا عن السيطرة والاستغلال[26]، فصحة التعاون من صدق "**العيش المشترك**"، لأنه يوحد بين المتطلبات المالية وبين المصالح الاجتماعية، ويدفع بأفراد المجتمع إلى العمل معًا، وتقاسم الأعباء، وتبادل التخصصات، والشعور بحاجة الأفراد وميولاتهم من خلال التعرف أكثر على ثقافتهم وعاداتهم، وقبول اعتقاداتهم والسماح لهم بالتحرك والانتقال بكل حرية وأمن، فتعم الاستفادة كافة الأطراف، وتتحمل المسؤولية عامة الناس.

يقوم "**المشروع التعاوني**" على تحريك مختلف فئات المجتمعات، ويستهدف «مبدأ ديمقراطية الإدارة بحيث يكون لكل عضو صوت واحد بصرف النظر عن عدد الأسهم التي يملكها ويقوم على مبدأ الباب المفتوح بحيث يستطيع كل من يرغب أن يكون عضوا في المشروع»[27]، على ألا يكون التعاون مقتصرًا على تحقيق أغراض مادية، أو محتكرا لصالح أفراد دون آخرين، فالعبرة من هذا الفعل التعاوني أن يفتح الآفاق لتعاملات أخرى ترتقي إلى مشاريع طموحة، تأخذ بعين الاعتبار الجانب الإنساني والبعد العالمي، و«المشروع التعاوني لا يبتغي مجرد الربح، بل يخصص جانبًا من إيراده للخدمات الثقافية والاجتماعية للأعضاء. غير أن هذه المبادئ قد يعتريها تحوير كثير أو قليل بحسب النظم والظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة»[28]، وتتولى الجمعيات [المدنية، الخيرية، الاجتماعية، الثقافية...] دعم هذه المشاريع بغية إنشاء تقاليد سلمية وخالصة، نحو مزيد من الاستقرار والإسهام والاستشراف لسد العجز وفك الضغط ودعم المبادرات الجادة والهادفة.

4. 5 **التضامن** [***Solidarité***]: يقترب "**التضامن**" من **الواجب** [***Devoir de Solidarité***] ومن **الإحسان** [***Charité***] «ويطلق واجب التضامن أيضًا على التزام أفراد المجتمع إعانة بعضهم بعضًا، وإذا كان التعاون بينهم واجبا فمرد ذلك إلى كونهم جسم واحد»[29]، والتضامن أداء إلزامي بحكم العجز والقصر لدى الآخرين في حالات قاهرة تقتضي ذلك مثل الفيضانات أو الكوارث، بينما يتخذ الإحسان صفة التطوع المستمر والمساعدة الدائمة بين فئات غير متساوية، وبذلك يشكل **التضامن** خير سبيل إلى "**العيش**

**المشترك**"، فلا خير في مجتمع بلا تضامن ولا تعاون، ويعني ذلك «الاعتماد المتبادل بين الموجودات أو الأشياء بمعنى أن ما يحدث للواحد يؤثر في الآخر»[30]، ويتفق هذا المعنى مع فلسفة **أوجست كونت** في التطابق التلقائي بين العلم والفن، كما يحمل التضامن مفهوم "**التماسك**" نظرا لحاجة الناس إليه.

يُفيد "**التضامن**" معنى الوحدة بين الأفراد أو بين الجماعات، وهو حالة أو خاصية تتميز بها الجماعة يسود فيها الالتحام الاجتماعي والتعاون والعمل الجمعي الموجه نحو أهدافها، ويمكن تحقيق ذلك من خلال الأنواع الآتية[31]:

| التضامن الأسري | التضامن الوظيفي | التضامن الآلي | التضامن العضوي | التضامن القرابي |
|---|---|---|---|---|
| ***Solidarity Family*** | ***Solidarity Functional*** | ***Solidarity Mechanical*** | ***Solidarity Organic*** | ***Solidarity Sibling*** |
| التضامن بين أفراد الأسرة داخل البيت أو خارجه على أعمال مشتركة أو لفائدة عضو من الأسرة. | التضامن في المجال المهني بين العمال في المجتمعات الصناعية، يقوم على التعاون المتبادل والمساندة الاجتماعية. | التضامن الجمعي القائم على التجانس في القيم والسلوكيات والولاء للتراث والقرابة، يعتمد على تقسيم الأدوار داخل المجتمعات الصغيرة. | التضامن داخل المجتمع الصناعي يعتمد على التبادل والتعاون بين الأفراد بالقيام بأدوار مختلفة حسب التخصصات ووفق الاختلافات. | التضامن بين أعضاء القبيلة أو العائلات بسبب القرابة أو علاقات المصاهرة. |

تُعتبر فكرة "**الاشتراك**" منبعًا لنظرية "**التضامن**" في مقابل المصطلح القانوني "**التكافل**"، والذي يتطلب وجود طرفين أحدهما يحوز أمرا [حالة قوة] بينما يفتقده الآخر [حالة عجز]، و«يحدث **التضامن** من جانب المدنيين حين يكونون ملزمين بنفس الشيء، بحيث إنّ كل واحد منهم يمكن أن يكون ملزما بالنسبة إلى الكل، ومنها فكرة **الاشتراك** في المصلحة بين المدينين(...)، وفكرة **المشاركة** في الخطأ، ومنها أيضًا فكرة الضمان الخاص بالنسبة إلى الدائن»[32]، ففلسفة "الدَّين" تضمن تعزيز التعاون والاشتراك بين الناس من جهة كما أنها تقيم العلاقات المالية على أساس القانون والحقوق والعدالة والإنصاف، فيرتبط الدائن بالمدين وفق مبدأ الضمان [الحق] و إتيقا التضامن [الحقيقة]، مما يشجع على قيم أخلاقيات أخرى، والنظر في سبل مختلفة، ويعد التضامن في قضاء الدين من أصناف "**الصدقات**"، **[وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ]** سورة التوبة، الآية:60، لما فيه من تكافل بين الناس، وقد يكون التضامن بسبب العلاقات الأسرية والعائلية أو تحت ظروف معينة تستوجب ذلك، لكن يتطلب العيش المشترك التضامن

التلقائي بدل التضامن الآلي، فالأول طبيعي، والثاني تطبعي، ولا يتم التضامن في الشر، ولا في الخطأ والجريمة، إذ تعد من قبيل "**المشاركة**"، وهذا ما يجعل التضامن فعلاً إيجابيًا مهمًا وملهمًا في قيام "**العيش السلمي**" بين الناس، ويزيد من فرص التكافل والتعاون والاعتراف.

**4. 6 الاحترام** [***Respect***]: تَرتبط إتيقا "**الاحترام**" بمنظومات الأدب، والتهذيب، واللطف، والإكبار، والتقدير، والمقام، والاعتبار، والإجلال لتحقيق التماثل المتبادل، والتكافؤ في الفرص بين الناس، ولا تستقيم الحياة بلا احترام، ولا يصح العيش بلا أدب ولا أخلاق، ومثلما يقتضي توزيع الخيرات وحل الأزمات بين الناس، لابد أن تتم التعاملات بطرق لائقة وتصرفات مقبولة، فتمام العدل حسن الكلام، ورغم التنوع الثقافي والتعدد الأخلاقي الذين تعيشه الشعوب والمجتمعات، إلا أنّ احترام حقوق الآخرين حسب **تايلور** (1931- ) له «بُعد أكبر يتمثل في إعطاء معنى لحياتنا. ولكي يكون للحياة معنى، يجب أن تتجه حياتنا نحو أهداف مهمّة وسامية، لا أن تكتفي بتلبية الحاجات الأولية أو الاصطناعية (...)، ويدعو إلى ضرورة الاهتمام بالسؤالين الآتيين: **أي حياة أفضل للعيش؟ وأي عالم أرغب العيش فيه؟** إن الإجابة عن هذين السؤالين ستحدد هويتنا، بمعنى ما نحن عليه وما نرغب في أن نكون عليه»[33]، فتقوم أخلاق العدل على قبول العيش مع كل الاختلاف التي تفرق بين الناس (التعدد الأخلاقي حسب **تايلور**)، واحترامنا للآخرين هو احترام لأنفسها بالدرجة الأولى، وتقدير لوعينا، وتحسين لحياتنا، فالاحترام تأدب لائق مع النفس وتصرف راق مع الآخرين، وإعلان صريح للسلام مع الغير.

**4. 7 التحاور** [***Dialogue***]: يَتخذ "**الحوار**" أشكالاً متباينة من التواصل قصد تبادل الآراء، باعتماد المحادثة ***Discussion***، والمناقشة، والجدل، والخطابة، والمناظرة، ونقصد بالتحاور اللقاء بين الأشخاص والإنصات وتداولية الكلام، وهو نوع من التواصل الذي يتطلب استحضار الفكر واللغة والأدب أثناء عملية التقابل، ويهدف الحوار إلى «توجيه معتقدات الآخر، سواء بإشراكه في الرأي أو إجباره على تعديل معتقداته وفق ما يقتضيه المقام»[34]، ولا تقف مهمة الاعتقادات عند الدعوة إلى الحقيقة بل تراعي أحوال الناس في تقبل أصول المسلمات [الاقتناع] و أساليب الاستسلام [الاعتناق]، فحضارة التحاور ذات المنشأ الكلامي [اللغوي] إنما هي اشتراك بين الناس [تبادل الرأي] وليس إقصاء لهم [تبطين العداء]، وبدل فرض منطق الاعتقاد بعنف يستحسن أن نبحث في تنمية نماذج حجاجية وآليات حوارية لتصحيح العفو وتصويب العنفوان، فالمحاورة في **العيش المشترك** ليست نوعًا من الجدل التصاعدي أو الترف الثقافي، بل تصب في إرساء تقاليد من التعارف والتواصل والتشاور والتعاون لرفع سوء التفاهم والخلافات، فكلما تكاثف الحوار وتضافرت المناقشة كلما ازدان الاشتراك بالعيش السوي والتعايش السليم.

يُحدثنا **مالك بن نبي** عن إمكان استقرار "**الحضارة**" بانتهاج فكرة "**النهضة**" القائمة على التوازن النفسي، فيصرح: «إن قضيتنا منوطة بذلك التركيب الذي من شأنه إزالة التناقضات والمفارقات المنتشرة في مجتمعنا اليوم. وذلك بتخطيط ثقافة شاملة، يحملها الغني والفقير، والجاهل والعالم، حتى يتم للأنفس استقرارها وانسجامها مع مجتمعها»[35]، فإدراك طبيعة النفس البشرية ومعرفة تقلباتها يزيد من فرص التعارف.. بإزاحة الصراع بالحوارية، وإزالة الحقد والكراهية، وإذابة الجليد بالإصغاء والتفاهم على نظامية التداول على الحديث والكلام، إنه التوازن الاجتماعي الذي ينشد الاستقرار ويضمن حقوق الناس ويصون الواجبات، وإذا كان التسامح مفارقة هيرمينوطيقية للخطابات التواصلية فإن التفاهم يشكل مقاربة فينومينولوجية لمنطوقات هذه التداولية.

## 5. خاتمة:

يَتطلب التفكير في تيمة "**الحضارات**" استحضار مشكلات الاقتصاد واشكاليات التنمية وترشيد الثروات وتجنيب الشعوب والأنظمة والمؤسسات الثورات التي لا طائل منها غير القتل والموت والتشريد والضياع وتقوية الأزمات والصدامات، فالصراع الحقيقي يكون مع مشكلات الأمن الغذائي والمحافظة على أصالة الطبيعة وسلامة البيئة من كل انجراف وانحراف.. من خلال التشجيع على قيم "**التعارف**" والتدرب على أدبيات "**الاعتراف**".

غير أن أخلاقيات "**الاعتراف**" لوحدها [منفردة] لا تكفي لضمان التعايش السلمي، إذ لم تجاوز حقل الأزمات نحو تحقيق تدابير العيش، وترشيد المعيش وفق قيّم القناعة، وهذا يتطلب ضرورة الإفراط في الإنسانية بدل التفريط فيها، وأن يكون العيش المشترك قائمًا على قيم إنسانية كبرى، لا تخضع لدين ولا لرقعة أو لحقبة، ويحق لكل طرف أن ينتصر لاعتقاداته وتقاليده وعاداته لكن داخل أجواء من الكرامة والمسؤولية، بل يترك الإنتماء لنفسه ويتحدث بالحكمة والرجحان، ويحسن انتقاء الملفوظات داخل خطابات من العقلانية، ولا يتعب الآخر بحديث الأصول والغايات والمبادئ والتصدير التراثي والاستيراد الفكري. وكذا يتطلب المسعى تشجيع ثقافات "**الثقة**" وسياسات "**اليد الممدودة**"، والمبادرات الراشدة والحكيمة.

## 6. قائمة المراجع:


1 - حسين مؤنس، **الحضارة -دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها-**، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1978، ص43.

2 - عبد العزيز بومسهولي، **أخلاق الغير نحو فلسفة غيرية**، دار وليلي للطباعة والنشر، مراكش، المغرب، ط1، 2005، ص17-18.

3 - تشيزاري بافيزي، **مهنة العيش يوميات 1935-1950**، ترجمة: عباس المفرجي، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، العراق، ط1، 2016، ص40.

4 - نجيب محفوظ، **حول الدين والتطرف**، أعده للنشر: فتحي العشري، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص84.

5 - زيغمونت باومان، **الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**، ترجمة: سعد البازعي وبثينة الإبراهيم، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2016، ص17.

6 - يورغين هابرماس، **مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية**، ترجمة: جورج كتوره، مراجعة: أنطوان الهاشم، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص50.

7 - أمارتيا صن، **الهوية والعنف "وهم المصير الحتمي"**، ترجمة: سحر توفيق، سلسلة عامل المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 2008، ص11.

8 - عبد السلام بنعبد العالي، **الفلسفة فنًّا للعيش**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2012، ص114.

9 - برنار شوفييه، **المتعصبون -جنون الإيمان-**، ترجمة: قاسم المقداد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، 2017، ص11.

10 - هارالد موللر، **تعايش الثقافات "مشروع مضاد لهنتنغتون"**، تر: إبراهيم أبو هشهش، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص23.

11 - عبد المنعم الحفني، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط3، 2000، ص573.

12 - كارل يسبرز، **مدخل إلى الفلسفة**، تر: جورج صدقني، مكتبة أطلس، دمشق، سورية، دط، دس، ص157.

13 - يورغن هابرماس، **إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة**، تر وتق: عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص44-45.

14 - كارل يسبرز، **مدخل إلى الفلسفة**، مرجع سابق، ص154.

15 - بول ريكور، **فلسفة الإرادة "الإنسان الخطّاء"**، تر: عدنان نجيب الدين، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2008، ص123.

16 - جون ديوي، **الفردية -قديما وحديثا-**، ترجمة: خيري حماد، مراجعة: مروان الجابري، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط، 1979، ص82-83.

17 - جميل صليبا، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، 1982، ج1، ص 271-272، لفظة [التسامح].

18 - حسن حنفي، مقال: **من التسامح إلى التفاهم -تحليل فينومينولوجي-**، مجلة: التفاهم، تصدر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط، عمان، العدد: 31، السنة:09، شتاء 2011، ص28-29.

19 - المرجع نفسه، ص38-39.

20 - مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 2007، ص193.

21 - المرجع نفسه، ص193-194.

22 - مصلح الصالح، **الشامل "قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية"**، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1999، ص259.

23 - المرجع نفسه، ص259.

24 - زيغمونت باومان، **الأخلاق في عصر الحداثة السائلة**، مرجع سابق، ص293.

25 - جميل صليبا، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية**، مرجع سابق، ج1، ص300، لفظة [التعاون].

26 - أحمد سعيفان، **قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص94.

27 - حسين محمد نصار وآخرون، **الموسوعة العربية الميسرة**، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط3، 2009، م2، ص1002.

28 - المرجع نفسه، ص1002.

29 - جميل صليبا، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية**، مرجع سابق، ج1، ص287، لفظة [التضامن].

30 - مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، مرجع سابق، ص192-193.

31 - مصلح الصالح، **الشامل "قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية"**، مرجع سابق، ص517-518.

32 - عبد الرحمن بدوي، **موسوعة الفلسفة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984، م2، ص74.

33 - الزواوي بغورة، **الاعتراف "من أجل مفهوم جديد للعدل" -دراسة في الفلسفة الاجتماعية-**، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص84.

34 - محمد نظيف، **الحوار وخصائص التفاعل التواصلي -دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية-**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010، ص60.

35 - مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ترجمة: عمر كامل مسقاوي، وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1986، ص159.